

النقد المنهجي لعلم التاريخ في العصر الأيوبي

في دراسات المستشرق هاملتون كُـب

The systematic criticism of the science of history in the Ayyubid period
in the studies of Orientalist, Hamilton Gibbs

د. زاهدة محمد الشيخ طه المزوري

أستاذة مساعدة جامعة داهوك

- كلية التربية الأساسية -

اقليم كردستان جمهورية العراق

المستخلص

مثلت دراسة المستشرق البريطاني هاملتون الكسندر روسكين كُـب (1895-1974) Hamilion A.R Gibb لموضوع (علم التاريخ) إحدى الانعطافات الاستشراقية المهمة في موضوع تطور الكتابات التاريخية عند المؤرخين المسلمين في عهد الدولة الأيوبية. إذ استطاع هذا المستشرق بحث مسار تطور علم التاريخ في عهد الأيوبيين من خلال بعض الدراسات، استعرض فيها جهود أبرز المؤرخين المسلمين ممن لمعت أسمائهم في عهد الدولة الأيوبية، وحاول هاملتون كُـب - وهو المعروف بكونه من أكثر مستشرقي جيله حيادية وموضوعية في الدراسات العربية - صياغة منهج موضوعي في دراسة تطور علم التاريخ في الدولة الأيوبية، عدّ من أهم ما قدمته المدرسة الاستشراقية البريطانية.

Abstract

The study by the British Orientalist, Hamilion AR Gibb (1895-1974) of the science of history represents one of the significant turning points in the evolution of historical writings of Muslim historians during the reign of the Ayyubid state. Gibb researched the development of the science of history in the Ayyubid reign through some studies. He reviewed the efforts of the most prominent Muslim historians during the reign of the Ayyubid state.

Being one of the most moderate and objective among the Orientalists in his generation, Gibb tried to formulate an objective approach to the study of the evolution of the science of history in the Ayyubid state, which is regarded as the most important contribution by the British Orientalist school.

إن الدراسات التاريخية ذات البعد النقدي والتي انصبت على تمحيص البحث في تحليل سياق أحداث التاريخ الإسلامي أعطت بعداً جديداً في الكشف عن القيمة المعرفية للنص التاريخي؛ ولم تكن الدراسات النقدية أياً كان بُعدها تتوقف عند حد تحليل وتفكيك النصوص التاريخية؛ بل إن الكثير من تلك الدراسات حاولت أن تأخذ بعداً نقدياً آخر تجاوزت حدود النص إلى دراسة البعد المعرفي الذي يُعنى بدراسة تطور علم التاريخ نفسه.

والدراسات الاستشراقية وجهة هي الأخرى عنايتها نحو موضوع تطور علم التاريخ حتى ظهر العديد من المستشرقين كرسوا عنايتهم في هذا المجال، وحاولوا تتبع مسار تطور الكتابات التاريخية عند المؤرخين المسلمين ضمن مراحل تطور عصور التاريخ الإسلامي.

وكان المستشرق البريطاني الشهير هاملتون كُوب (1895-1974) أحد أبرز المستشرقين الذين تصدوا لدراسة تطور علم التاريخ عند المؤرخين المسلمين، وحاول وضع منهج استشراقي خاص بالمدرسة البريطانية توخى فيها رصد معالم تطور الكتابات التاريخية عند المؤرخين المسلمين.

هاملتون كُوب والدراسات التاريخية

لاشك في أن اهتمام المستشرق الاسكتلندي الأصل هاملتون الكسندر روسكين كُوب بالدراسات التاريخية الإسلامية له ما يبرره؛ خاصة إذا علمنا أنه ولد على أرض عربية وهي الإسكندرية عام 1895¹، فشكل ذلك نوعاً من التعاطف والالتزام النفسي في تحري الموضوعية والعلمية في بحوثه عن الشرق الإسلامي.

درس كُوب في المدرسة الملكية العليا في أدنبرة، والتحق عام 1919 بالدراسة في مدرسة الدراسات الشرقية School of Oriental Studies التي كانت قد تأسست في لندن عام 1917 لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي²، ولكنه لاحقاً أبدى اهتماماً ملحوظاً بالدراسات التاريخية، والتي جاءت بلا شك من ميوله الأولية في دراسة الحضارة الإسلامية وتاريخها؛ والمستمدة أصولها "من التأثيرات النفسية للطفولة التي اكتسبها بالتعايش مع المجتمع العربي في مصر"³. لكن هذا وحده ليس هو السبب في موضوعيته تلك؛ فالشخصية الأخلاقية لكُوب شملت كل جهوده العلمية وعلاقاته الاجتماعية.

وفي عام 1930 شغل كُوب منصب كرسي العربية في مدرسة الدراسات الشرقية؛ وفي تلك المرحلة الحيوية من حياته أبدى عناية بالعمل على توسيع حقل الدراسات التاريخية الإسلامية؛ ولاسيما أنه كان يرى أن القيمة العليا التي تتسم بها الحضارة الإسلامية وتاريخها في حقل الدراسات الشرقية لم تأخذ حظاً يناسب أهميتها ومستواها، خاصة في جامعات دولة عظمى مثل بريطانيا آنذاك⁴. ولتحقيق ذلك سعى كُوب إلى تعميق البحث في الدراسات التاريخية الإسلامية حين انتقل في عام 1937 إلى أكسفورد؛ لتسلم منصب كرسي اللغة العربية في جامعتها العريقة؛ وهو الكرسي المعروف باسم الكرسي لودي Laudien Chair نسبة إلى مؤسسه الأسقف ولیم لوید عام 1638⁵؛ ولكن يبدو أن كُوب أصيب بخيبة أمل شديدة هناك حين عجز عن تحقيق ما كان يصبو إليه في مجال توسيع حقل الدراسات العربية والإسلامية⁶؛ لذلك غادر كُوب بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1955 اثر دعوة وجهت إليه من جامعة هارفارد ليتولى منصب أستاذ كرسي اللغة العربية فيها⁷. كما تم اختياره

لتولي منصب مدير مركز دراسات الشرق الأوسط انسجاماً مع التوجهات السياسية والفكرية في ذلك الوقت اثر الدور المتصاعد للولايات المتحدة في أوروبا والعالم القديم؛ ولاسيما في منطقة الشرق الأوسط ضمن ما عُرف باسم سياسة "ملء الفراغ"⁸.

وكان يعد وجود كُـب في هارفارد نقطة تحول كبير في دراسة التاريخ الإسلامي؛ إذ استطاع - بفضل إيمانه بأهمية الأدب العربي والتاريخ الإسلامي الإمام بتراث الشرق، وتحقيق تحول نوعي في الدراسات الشرقية عامة والتاريخ الإسلامي على الخصوص؛ ولاسيما أن الدراسات التاريخية المتعلقة بالإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية كان يشوبها تشويه كبير من لدن اليهود هناك، ناهيك عن الجهل وقلة الإطلاع على مجريات مساق حركة التاريخ الإسلامي⁹؛ لذلك اخذ كُـب على عاتقه ضرورة إزالة حالة الجمود الفكري والتشويه غير المنطقي للدراسات الإسلامية أياً كان نوعها، وإحلال محلها دراسات تتسم بالطابع الموضوعي¹⁰.

ووقد تمكن كُـب من تحقيق ذلك لأن: "نظرة سريعة في برامج الكليات الأمريكية تظهر أن درس العريية كان ملحفاً بقسم اللغة العربية، لكن كُـب استطاع تحويل القسم من الدراسات السامية-والتي كانت تعنى بالعريية على الخصوص-إلى قسم الدراسات الشرقية فصار للعربية وعلومها شأن كبير"¹¹.

هاملتون كُـب وعلم التاريخ

إن اهتمام هاملتون كُـب بدراسة علم التاريخ عند المؤرخين المسلمين يرتبط بلا شك بعناية هذا المستشرق ببحث المصادر الأولية في دراسة التاريخ الإسلامي¹²؛ خاصة أن كُـب كان معروفاً في عالم الدراسات الاستشرافية بكونه من أكثر المستشرقين البريطانيين موضوعية ودقة في تحري الحقائق التاريخية من مصادرها الأساسية، الأمر الذي أدى دوراً لا يستهان به في مجال تكريس كُـب جانب من اهتمامه لدراسة علم التاريخ الإسلامي ورصد جوانب تطوره. وقد احتلت معالجة كُـب لموضوع علم التاريخ عند المؤرخين المسلمين مساحات واسعة في دراساته؛ ولا يمكن القول إن إشارات كُـب المعنية ببحث الحركة العلمية في كتابة التاريخ الإسلامي كانت تتوقف عند دراساته التاريخية على تنوعها فحسب؛ بل إن أغلب دراساته التي انصبت نحو الأدب العربي كانت هي الأخرى تكتظ بالمعلومات العلمية القيمة في هذا الصدد حتى إن كُـب كان يسوق تطور الحركة العلمية التاريخية مع معالجته لموضوع تطور الأدب العربي نفسه، كما هو الحال في كتابه (المدخل إلى الأدب العربي).

ولا سيما أن كُـب كان في دراساته الاستشرافية يسعى إلى تحقيق علاقة بين الدراسات الأدبية والدراسات التاريخية، وبلغ في استنتاجاته لمعالجته تلك العلاقة مرحلة أنه صرح في مستهل ما كتبه في مقالته (التاريخ) أن علم التاريخ من حيث الاصطلاح: "هو اصطلاح من اصطلاحات الأدب العربي"¹³؛ وفي أن هناك علاقة وثيقة -برأيه- بين الأدب والتاريخ، إذ: "كلاهما تعبيران عن المجتمع الحي، ودراسة أحديهما بمعزل عن الآخر ستؤدي إلى تشويه الحقائق الكامنة في هذا المجتمع"¹⁴.

لكن قد يستغرب أحد هذا الجمع بين علم التاريخ وبين تاريخ الأدب العربي لدى كُـب، والواقع فهذه القضية يُجاب عليها بأنها تتعلق بمفهوم الأدب لدى ناظقي اللغة الإنكليزية؛ فهو مفهوم متطور واسع الطيف يشمل على علوم وفنون ونشاطات ذهنية أوسع مما هو عليه الحال في الدراسات الأدبية العربية¹⁵. ولو تتبعنا كتابه (المدخل إلى

الأدب العربي) وهو باكورة أعمال كُتب الاستشراقية¹⁶ لرأينا إنه كان يؤرخ لحركة الكتابة بعامة بما في ذلك الشعر والنثر والتاريخ والسيرة والفلسفة والفقه والتصوف وعلم الأصول على وفق مفهومه الإنكليزي للأدب، أما مفهوم الأدب الجميل من شعر ونثر ومقالة فله دلالة تختلف عما تشمله كلمة literature. لذلك هم يسمون كليات الآداب التي تعني بالأدب الجميل من شعر ونثر وقصة: Golledges of Art ومن هنا وجدناه يقول إن مصطلح علم التاريخ من مصطلحات الأدب العربي، بهذا المعنى للأدب الذي يعنيه هو.

ويبدو أن اهتمام كُتب بدراسة علم التاريخ عند المؤرخين المسلمين لم يقتصر على ذكر إشارات في متون كتاباته الأدبية والتاريخية، إذ عمل أيضا على تقديم دراسة شاملة لبحث موضوع علم التاريخ، جاءت تحت عنوان (التاريخ) أو (علم التاريخ) التي نُشرتْ ملحقاً بالطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية عام 1938، ثم في كتاب (دراسات في حضارة الإسلام) Studies on the Civilization of Islam. وعلى الرغم من أن دراسة كُتب لعلم التاريخ امتازت بنوع من الاختصار؛ لكنها بلا شك كانت دراسة مكثفة سعى فيها كُتب جهده لترصد تطور علم التاريخ عند المؤرخين المسلمين منذ نشأته وحتى العصر الحديث، حتى إن دراسته تلك عدت كما يشير الأستاذ شاكر مصطفى: "من أوفى وأكمل الدراسات التي ظهرت عن علم التاريخ الإسلامي حتى الآن"¹⁷.

منهج هاملتون كُتب في دراسة علم التاريخ

يقوم منهج كُتب في دراسته لعلم التاريخ على المنهج النقدي التاريخي الذي سبق وأن اتبعه المستشرق الإنكليزي رينولد نيكلسون Reynold Nicholson (1868-1945) في كتابه (تاريخ العرب:الادبي)؛ حتى إن كُتب قام بمحاكاته في معالجة تطور علم التاريخ عن المؤرخين المسلمين من حيث تقسيمه علم التاريخ إلى مراحل تاريخية مبتدأ من المراحل الأولى لنشأته قبل الإسلام وحتى العصر الحديث في القرن الثالث عشر الميلادي¹⁸. وإن كان كُتب في حقيقة الأمر قد تفوق على نيكلسون في جوانب كثيرة متعلقة بطريقة "التحليل الدقيق ومجاوزة الجزئيات، والاعتناء بما له صلة فاعلة بالموضوع؛ بحيث تمكن - وبأقل الكلمات- من أن يصور عن كُتب آلية الفعل التاريخي في صنع الأحوال وتحدد معالم الحركة التاريخية واتجاهها"¹⁹.

قسم كُتب الكتابات التاريخية على ثلاثة أقسام: (العام والحولي والتراجم) إذ تعد هذه الأقسام الثلاثة -بحسب كُتب - الدعامة الرئيسة لمن يتصدى لدراسة علم التاريخ عند المؤرخين المسلمين ويتتبع مراحل تطوره تاريخياً وصولاً إلى العصر الحديث²⁰.

وهاملتن كُتب في ترصده لمراحل تطور علم التاريخ ركز اهتمامه على المظاهر الأساسية التي تميز كل عصر عن الآخر؛ بل إنه كان يسمي كل مرحلة تاريخية بعنوان خاص يكاد يميزها عن المرحلة التي قبلها، كما فعل في كتابه(مدخل إلى الأدب العربي) حين استعرض مراحل تطور الأدب العربي.

ولم تكن تلك التسمية خاصة بالفترة التي تناول فيها مراحل تطور الأدب عند العرب أو المسلمين - كما يتصور البعض-؛ بل إن هذه التسمية طالت أيضا علم التاريخ ليس بوصفه وثيق الصلة بدراسة الأدب كما اعتقد كُتب فحسب؛ بل لأنه أيضا استعرض الجوانب الرئيسة لتطور علم التاريخ في معرض حديثه عن تطور الأدب العربي ضمن تلك الفترات.

وقد وضع كب علم التاريخ في دراساته ضمن سياق استشراقي يقوم على ضرورة ربط تطور الحركة العلمية في الدولة الإسلامية بالأحداث التاريخية التي شهدتها الشرق الإسلامي؛ ويعد بحسب كب القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي النقطة المركزية على صعيد أي دراسة من هذا النوع، وذلك بالنظر لما شهدته الدولة الإسلامية في ذلك العصر من مسارات تطويرية؛ لاسيما بعد أن أصبحت بغداد عاصمة الخلافة العباسية ومركزاً حيوياً للأدب والفنون والعلوم التاريخية المختلفة، حتى إن كب يسمى ذلك العصر في كتابه (مدخل إلى الأدب العربي) — (العصر الذهبي) الذي عناه بالفترة التي تشمل العصر العباسي حتى بداية الفترة السلجوقية²¹.

ومما يلاحظ أن كب حاول بحث المنهج التدويني عند مؤرخي الدولة العباسية في سياق البعد الديني؛ والتي كان يعدها المحور الرئيس لتحديد معالم اختلاف الكتابة التاريخية في حاضرة الخلافة العباسية بغداد عن الكتابة التاريخية في الشام ومصر عصر الأيوبيين وكذلك المماليك.

فبحسب ما يراه كب إن التدوين التاريخي في العصر العباسي كان يمتاز بالنظرة الدينية عند المؤرخين المسلمين، ويدين كب ذلك إلى الفقهاء والمحدثين، ممن كانوا يرون برأيه أن التاريخ يعد صورة التحلي للفعل الإلهي في توجيه شؤون البشر، وأن استمرارية الحدث التاريخي كانت تعد أساس الفكر السني في موضوعي الدين والسياسة²².

ومن الجدير بالإشارة أن النظرة الاستشراقية عامة بضمنها نظرة كب نفسه كانت تنصب على أن عناية علماء السنة والحديث من المهتمين بعلم التاريخ ارتبطت ارتباطاً مباشراً بتنفيذ إرادة الله وسنته؛ وإنهم على هذا الأساس ملزمون بدراسة التاريخ لتكملة القرآن الكريم والحديث، ناهيك عن أن المحافظة على إنجازات أحد الشيوخ أو علماء المسلمين من قبل تلامذته كان منبعه الورع الديني حتى عدَّ الاستشراق "المنهج الشامي السوري في كتابة التاريخ احد سمات إحياء السنة"²³.

أما فيما يتعلق بطريقة كب لبحث أقسام علم التاريخ في الدولة العباسية (العام والحولي والتراجم)، فعلى ما يبدو أن كب قصد في دراسته لهذه الأقسام إلى الاهتمام ببحث الخصائص التي تميز كل قسم وإن اختلف منهجه الاستشراقي في بحث تلك الخصائص من قسم لآخر. فمثلاً نجد أن كب يوجه عنايته وهو يخوض في دراسة كتابة (التاريخ العام) في العصر العباسي إلى بحث أثر دخول المؤثرات الخارجية (الفارسية و اليونانية) في عملية التدوين التاريخي عند المؤرخين المسلمين أكثر من اهتمامه في بحث السياق المعرفي للتوجهات الكتابية عند مؤرخي التاريخ العام²⁴.

في حين نجد أن منهج كب في بحث التاريخين (الحولي والتراجم) اختلف عن سياق بحثه للتاريخ العام. ففي (التاريخ الحولي) حاول كب جهده البحث عن العوامل التي كان من شأنها إهمال المفهوم الديني في الكتابات التاريخية عند المؤرخين، وقد وجه كب عنايته لمعالجة هذه القضية إلى بحث أثر التقلبات السياسية في المنطقة الإسلامية على تكوين شخصية المؤرخ وتحديد مهامه التدوينية. إذ يجد كب أنه خلال القرنين الرابع والخامس الهجري/العاشر والحادي عشر الميلادي أخرج المؤلف من إطار كتابة التاريخ العام؛ لكونه كان محدداً بأفق الكيان السياسي الذي يعيش فيه، وفي أن هذه المهمة اضطلع بها -بعد أن ترك العالم والحديث وظيفتهم إلى- الموظفين المقربين من البلاط الملكي ورجال الدواوين الذين كانوا يستقون معلوماتهم التاريخية من الوثائق الرسمية

والاتصالات الشخصية لذلك ارتبطت الكتابات التاريخية بأعمال الحاكم وحاشيته؛ فضلاً عما يدور بين الموظفين المقربين لصاحب البلاط، الأمر الذي أبعد الكتابات التاريخية -بحسب كُـب - عن الترابط مع المفهوم الديني القديم وحل محله مسوغ آخر ألا وهو القيمة الأخلاقية²⁵.

أما دراسة كُـب للقسم الثالث (التراجم) فقد نحى منحى آخر، إذ تركزت عنايته في التشديد على دور هذا القسم من الكتابات في عملية تفعيل الحركة الأدبية في الدولة العباسية أكثر من اهتمامه بالتاريخ؛ لأن التراجم من وجهة نظر كُـب عُدَّت فناً بسط ظله على ميدان اللغة بطرق أبواب اللغويين من نحاة وتراجم الأعلام والشعراء والكتاب²⁶. ومثل هذا النوع من الكتابة يعدُّ بحسب كُـب ذا قيمة لا يمكن تجاهلها على الرغم مما امتازت به تلك التراجم من الاختصار؛ لكونها كانت تتضمن معلومات قيمة عن تلك الشخصيات خاصة فيما يتعلق بسنوات وفاتهم وكشأف بمؤلفاتهم إذا كان مؤلفاً وبعض الأشعار إن كان شاعراً، ومثل تلك الإشارات كانت كافية برأي كُـب بأن يعد هذا النوع من الكتابات تكملة قيِّمة تصحح التواريخ السياسية²⁷.

كُـب وعلم التاريخ في العصر الأيوبي

تناول كُـب معالجة موضوع علم التاريخ في عصر الدولة الأيوبية ضمن ما أسماه (العصر الفضي) في كتابه (المدخل في الأدب العربي)، كما تناوله في مقالته (التاريخ) أو (علم التاريخ) خارج إطار حديثه عن (العصر العباسي حتى عصر السلاجقة)، ويبدو أن ذلك عائد إلى تقسيم كُـب لمراحل تطور علم التاريخ بحسب العهود التي شهدتها الدولة الإسلامية، فإذا كان (العصر الذهبي) معياراً لأعلى مراحل التطور والرقى الذي طال معظم جوانب العلوم والمعارف ومن ضمنها علم التاريخ؛ فأن (العصر الفضي) على النقيض من ذلك كان بحسب كُـب عصراً لانتكاس العلوم والمعارف ويعلّل كُـب ذلك بما خلفته سياسة السلاجقة من آثار سلبية على مجمل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية²⁸.

ويرى الأستاذ ناصر عبد الرزاق الملا جاسم أن كُـب في نقده للكتابات التاريخية في العصر الفضي بعامة كان قد وقع تحت تحليلات ابن خلدون في نقده للمؤلفات التاريخية المتأخرة التي جاءت بعد الطبري والمسعودي... وغيرهم²⁹، ويستند في دعم رأيه ذلك إلى مقولة ابن خلدون الشهيرة عن ذلك العصر حين قال: "لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد وبلید الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال"³⁰. ويبدو أن اهتمام كُـب الكبير بدراسة ابن خلدون وتحليل منهجه الديني والتاريخي في بعض الدراسات التي قدمها عن هذا المفكر العالم كان له أثره في وقوع كُـب تحت تأثير تحليلات ابن خلدون وتسليمه بالنقد الذي طرحه في كتابه الشهير (المقدمة).

لكن على الرغم من ذلك فإن كُـب كان حريصاً على حصر ذلك التراجع في مجال الأدب أكثر منه في مجال علم التاريخ، فضلاً عن أنه لم يعمم ذلك التراجع في العلوم الأدبية والتاريخية في جميع أنحاء الدويلات الإسلامية، إذ خص الدولة الأيوبية في هذا العصر باهتمام بالغ وعده أمودجاً لاستمرارية تطور علم التاريخ. وهذا ما أكدّه كُـب في دراساته للعصر الفضي سواء كان في كتابه (المدخل في الأدب العربي)؛ أو في مقالته (التاريخ) أو (علم التاريخ) حين أفرد مبحثاً منفرداً في دراسته لهذا الموضوع تحت عنوان (التاريخ: من نهاية القرن السادس إلى أوائل القرن

العاشر) ضمن فيه بحث تطور علم التاريخ في العصورين الأيوبي والمملوكي، وعمد إلى صياغة منهج علمي ذي طابع استشراقي خاصة بتلك الفترتين.

ولا يخفى أن قدرة كُتب على صياغة منهج علمي لدراسة تطور علم التاريخ في العصر الأيوبي وقدرته على تحديد معاييرهِ الرئيسة يكشف بجلاء: "منحاه الفكري بوصفه ناقداً ومؤرخاً للفكر والحضارة... ومنذ أن شرع في هذا تتكشف الميزة الفاعلة في منهجه قبالة المناهج العربية في التاريخ العام... ذلك لأنه ينطلق من منهج يتخذ من تحليل الجزئيات وتركيبها طريقاً إلى فهم الكلي Entire عبر ترابط وتنوع اقتضته طبيعة الأحوال التي لازمت المجتمع الإسلامي في شتّى أصقاعه. وهذا التحليل المترابط يعطي تصوراً مناسباً عن مجمل النشاط الفكري والاجتماعي والنفسي آنذاك"³¹.

ولاسيما أن كُتب كان يعد من بين أكثر المستشرقين قدرة على تحليل الوضع العام في الدولة الأيوبية بفضل دراساته المكثفة عن هذه الدولة والحملات الصليبية، ويمكن القول إن تأثر كُتب بشخصية صلاح الدين الأيوبي كان يعد دافعاً محفزاً بالنسبة له لدراسة علم التاريخ من خلال رصده للكتابات التاريخية التي تناولت شخصية هذا القائد الفذ ودوره في حركة الجهاد ضد الصليبيين³².

مثل الكتابات التاريخية لكل من: ابن الأثير (630هـ/1233م) في كتابه (الكامل في التاريخ) وبهاء الدين ابن شداد (ت632هـ/1234م) في كتابه (النوادر السلطانية والحاسن اليوسفية) وعماد الدين الأصفهاني (597هـ/1200م) في كتابيه (البرق الشامي) و (الفتح القسي في الفتح القدسي) ورسائل القاضي الفاضل (596هـ/1199م) إذ عدهم كُتب من أهم مصادر دراسة سيرة صلاح الدين الأيوبي ضمن بحثه (المصادر العربية عن حياة صلاح الدين) الذي كان قد نشره في مجلة (المرأة) التابعة لأكاديمية الدراسات الوسطية الأمريكية عام 1950³³.

وكما أدت دراسة كُتب لسيرة صلاح الدين الأيوبي وشخصيته القيادية ضمن حركة الجهاد ضد الصليبيين إلى دراسة بعض المصادر الإسلامية المتعلقة بالحملات الصليبية الأولى والتي اندرجت ضمن كتاب (تاريخ الحروب الصليبية) التي تولت إصداره جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية³⁴. تلك المصادر التي أدت دورها في مساعدة كُتب على تحليل منهج المؤرخين في العصر الأيوبي للكتابة التاريخية وأعانتة على رصد مراحل تطور هذا العلم في العصر الأيوبي³⁵.

ويأتي في مقدمة هذه المصادر كتاب (المذيل في تاريخ دمشق) وهو المشهور خطأ باسم (ذيل تاريخ دمشق) لابن قلاسي (555هـ/1160م)³⁶، إذ كان يعد هذا المصدر من أكثر المصادر التاريخية التي عني كُتب بها في دراسته لموضوع الحملات الصليبية، وعكف على ترجمة مقتطفات من هذا الكتاب بالنظر لقيمتها بالنسبة للمختصين بالحروب الصليبية في مراحلها المبكرة، ولاسيما أن هذا المصدر لم تكن أهميته متعلقة بحقل الدراسات الصليبية؛ بل وأيضا بالنسبة للمهتمين بدراسة معالم الكتابة التاريخية في العصر الأيوبي. هذا لو أخذنا بعين الاعتبار أن هذا المصدر كان مجهولاً في الغرب باستثناء الدراسة التي كان قد قدمها المستشرق البريطاني الجنسية امدرور³⁷.

كُتب ودوافع اهتمام الأيوبيين بعلم التاريخ

كان على كُتب وهو يتصدى لبحث موضوع تطور علم التاريخ في العصر الأيوبي أن يستعرض العوامل الرئيسة التي دفعت المؤرخين المسلمين إلى الكتابة التاريخية في عهد الأسرة الأيوبية، ولاسيما أن كُتب كان قد وسم ذلك العصر بكونه عصراً لتراجع القيمة العلمية لأغلب **روافد** المعرفة ومن ضمنها التاريخية للدولة العباسية- كما بينا-. ويبدو أن كُتب كان يحاول إحالة مشكلة تراجع القيمة العلمية على صعيد المعرفة الذاتية إلى ما عانته المؤسسة السياسية للخلافة العباسية من مظاهر الانحلال ولاسيما منذ منتصف القرن الثالث بعد أن استحوذت الدولة العباسية على دويلات متعددة أدت فعلها كما يشير هرنشو أيضاً في تحويل "اللامركزية السياسية إلى لا مركزية أدبية، فتوزعت الثقافة الإسلامية على الأمصار بعد أن كادت تكون مجموعة في حاضرة الخلافة وحدها. وناضت بغداد قرطبة والقيروان ومصر وحلب وأصفهان وغزنة والري وبلخ وغيرها... كل ذلك أثر في كتابة التاريخ"³⁸. إذ نلاحظ أن كُتب كان شديد العناية في جعل العصر الأيوبي بداية إعادة القيمة العلمية في الدولة الإسلامية إلى مسارها الصحيح؛ إذ يشير إلى أن توحيد مصر والشام في عهد صلاح الدين الأيوبي كان يعد نقطة تحول خطيرة في الكتابات التاريخية بالنظر لانتقال مركز التدوين التاريخي إلى الشام وما حظي به هذا العلم من اهتمام في ظل الأسرتين (الزنكية والأيوبية) بفضل تشجيعهما المؤرخين على كتابة المزيد من المؤلفات التاريخية، ولاسيما الخاصة بتلك الفترة³⁹.

كما يستشف كُتب من دراساته للعلاقات الأيوبية-الصليبية أن انتعاش النشاط العلمي لحركة التدوين عند المؤرخين في العصر الأيوبي يعود الفضل فيه أيضاً -برأيه- إلى ما شهدته المنطقة الأيوبية من أجواء عسكرية حامية كحلقة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب؛ وأن ذلك الصراع أسهم برأيه في: "نتاج وافر من الكتب في الفنون العسكرية والأسلحة والفروسية وفي الجهاد المقدس بصورة عامة". وبنظر كُتب يعد كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ (584هـ/1188م) مرآة عاكسة لذلك الصراع⁴⁰، ولاسيما أن كُتب كان يرى إن دحر صلاح الدين الأيوبي للحملة الصليبية الثالثة كان له أثره في إحداث رخاء انعكس بدوره في نشاط الحركة العلمية خاصة في مجال الكتابات التاريخية⁴¹.

كُتب واتجاهات علم التاريخ عند مؤرخي الدولة الأيوبية

إن من أهم ما يميز دراسة كُتب لموضوع تطور الكتابات التاريخية عند المؤرخين المسلمين في العصر الأيوبي هي قدرة هذا المستشرق على تحديد الخصائص الرئيسة لاتجاهات التدوين التاريخي في ذلك العصر وبراعته في استعراض مسارات التوجهات الفكرية للمؤرخين ضمن تلك الاتجاهات التي قسمها على ما يأتي:

أولاً: السيرة الرسمية

تعد السيرة الرسمية -بحسب كُتب- إحدى أبرز نتاجات العصر الأيوبي وأكثرها حضوراً على صعيد أي عملية تستهدف رصد معالم تطور علم التاريخ في الدولة الأيوبية.

ومن الملاحظ أن كُتب لم يعن بدراسة خصائص هذا النوع من الكتابة التاريخية فحسب؛ بل إنه عني ببحث شخصية مؤرخ السيرة وعلاقته بالمؤسسة السياسية الحاكمة في الدولة الأيوبية. وخاصة أن كُتب كان يجد أن أعظم

امتياز يمكن أن يسجل لعلم التاريخ في العصر الأيوبي هو عودة المؤرخ العالم إلى الظهور جنباً إلى جنب مع المؤرخ الرسمي بعد أن انحسر -برأيه- في العصر الفضي -كما بينا- ، ومن هنا حاول كُتب أن يعطي للكتابات التاريخية في العصر الأيوبي بعداً جديداً حين سعى لخلق علاقة بين المؤرخ والسياسة من جانب نظرتة كمستشرق محترف بالدراسات العربية الإسلامية.

ولا يجد كُتب صعوبة في تفسير دوافع ظهور مؤرخي من نوع (السيرة) في الدولة الأيوبية حين يربط ذلك بظهور شخصية تاريخية إسلامية ذات نمط بطولي اشتهرت على صعيد التاريخين الشرقي والغربي بمواقفه البطولية في التصدي للحمالات الصليبية ألا وهي شخصية صلاح الدين الأيوبي؛ فهذه الشخصية كانت كفيلة بحسب رأي كُتب في إحداث انقلاب جديد في الكتابات الأيوبية، حين وجد المؤرخ نفسه يشق طريقاً جديداً في عملية التدوين التاريخي، الأمر الذي بشر بولادة كتابة (السيرة الرسمية) ومما غذى تلك الكتابة بحسب ما يجده كُتب هي أن حياة صلاح الدين العسكرية كانت مادة جيدة للمؤرخين لتدوين التاريخ على هذه الطريقة في ذلك العصر⁴².

وكان يعد عماد الدين الأصفهاني (ت597هـ/1201م) أنموذجاً بالنسبة إلى كُتب لهذا النوع من الدراسات المتعلقة بالسيرة، والمعني هنا سيرة صلاح الدين الأيوبي؛ إذ يولي كُتب هذا المؤرخ الذي كان يعد الكاتب الشخصي لصلاح الدين ومراقبه في معظم حملاته العسكرية أهمية خاصة في دراساته التاريخية والأدبية، ولا سيما أن كتابي الأصفهاني الموسومين (الفتح القسي في الفتح القدسي) و(البرق الشامي) كانا يعدان من المصادر الأساسية عن حياة صلاح الدين الأيوبي وحظيا في الدراسات الاستشراقية باهتمام بالغ من لدن المستشرقين، ممن بحثوا في حقل الدراسات الصليبية⁴³.

وأهمية الأصفهاني بالنسبة إلى كُتب لم تكن تنحصر كما كان يجدها المهتمون بالدراسات الصليبية بقيمة المعلومات التي كانت تضمها مؤلفات الأصفهاني وموثقيتها فحسب⁴⁴؛ بل إن كُتب وجه الجانب الأكبر من دراسته للأصفهاني لمعالجة منهجه اللغوي في كتابة السيرة، إذ كان يرى فيه كُتب أنموذجاً لذلك النمط من كتابات الأسلوبيين تلك التي كانت تميز كتابات القاضي الفاضل شيخ الأسلوبيين⁴⁵، ومصطلح الأسلوبيين على وفق كُتب يعني: "الكتابات المنمقة والخطب والرقائق والوصايا"⁴⁶. ومن هنا يجد أن الأصفهاني بذل قصارى جهده "في النشر المنمق من أجل إظهار الصفة البطولية الملحمية في أعمال صلاح الدين الباهرة"⁴⁷.

وعلى ما يظهر أن عناية كُتب بالدراسات الأدبية هي ما جعلته يهتم ببحث المنهج الأسلوبي في كتابة السيرة الرسمية عند مؤرخي الدولة الأيوبية، فبرأي كُتب أن ما جعل علم التاريخ يأخذ بعداً تطورياً في مجال كتابة السيرة الرسمية في الدولة الأيوبية هو أن مؤرخي هذه الدولة كانوا لا يقبلون بالأساليب الأدبية الخارجة عن حدود مدارسهم مثل العراق وفارس؛ لذلك لم يحظَ -برأيه- ما ادخله الأصفهاني من ذلك الأسلوب القائم على النشر الذي أسماه (المنمق أو المسجوع) في كتابة السيرة الرسمية التي كانت في الأصل من نتاجات فارس والعراق⁴⁸، وفضلوا البقاء على أسلوب النشر الطبيعي الذي كان يؤدي إلى المعنى مباشرة، وبرأي كُتب إن هذا الأسلوب لم يكن يميز مؤرخي الدولة الأيوبية فحسب؛ بل إنه عم بعظيم الفائدة على التاريخ العربي فيما بعد، ومن هنا يبرز -بحسب كُتب- لماذا كانت كتابات السيرة التي ألفها كل من ابن شداد وأبو شامة (ت665هـ/1266م) أكثر تفوقاً في

هذا المجال على الأصفهاني وأكثرها حضوراً في مجال الانسياق الأسلوبي لتطور علم التاريخ عند مؤرخي الدولة الأيوبية⁴⁹.

وإن كان كُتب قد عني بالأسلوب اللغوي للأصفهاني في كتابة السيرة الرسمية وبين على وفق ذلك النحو عوامل تفوق كتابات مؤرخي الشام على العراق وفارس؛ فذلك لم يكن ليبخس قيمة مؤلفات الأصفهاني الذي انتهج فيه منهج أسلوب أبناء طبقة من كتاب الدواوين، والمعروف ان الأصفهاني حاول أن يطعم كتاباته التاريخية بالطابع الأدبي في محاولة منه أن: "يكتب شيئاً مميزاً وخالداً على مر الزمن وتتداول الأيدي والألسن بالاهتمام، فهو نظر إلى عصره فوجد التميز والشهرة لكل علم وفن محصور في موضوع معين...لذا سعى إلى مجارة المقامات الأدبية والإنشائية التي أثبتت جدارة فيها من خلال عمله في ديواني نور الدين وصلاح الدين"⁵⁰.

وعلى الرغم من أن كُتب قد أشاد بتفوق كتابات المدرسة الشامية التي تجلت بحسب رأيه بكتابات ابن شداد وأبو شامة في مجال كتابة السيرة الرسمية؛ إلا أنه في الوقت نفسه لم يول تلك العناية لبحث المنهج العلمي في كتابات هذين المؤرخين، فأبن شداد مثلاً كان قد قدم هو الآخر مؤلفين وهما (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) أو (سيرة صلاح الدين) لم يقل من حيث الأهمية عن مؤلفات الأصفهاني الذي جعله كُتب محور دراسته لموضوع تاريخ السيرة الرسمية، فابن شداد كان هو الآخر كاتباً معاصراً لصلاح الدين ومشاركاً له في كثير من الأحداث، وإن اختلاف أسلوبه عن الأصفهاني لا يمكن أن يختصر في تفضيله كما ذكر كُتب بأسلوب النشر الطبيعي الذي يؤدي إلى المعنى مباشرة وفي الانسياق الأسلوبي لتطور علم التاريخ عند المؤرخين الأيوبيين، لأن ابن شداد اتخذ ضمن مقياس المغايرة عن الأصفهاني منهج أكثر موافقة مع موضوع كتابه الأمر الذي: "حددت المعايير والحاسن والمطابقة للشرع منهج ابن شداد، فجعلته يختلف عن كتب صلاح الدين كمعاصره العماد الأصفهاني الذي أكد الأعمال السياسية والعسكرية لصلاح الدين فكان المنهج الحولي هو ما اعتقد تحقيق ذلك"⁵¹. لكن يبدو أن اهتمام كُتب بالسياقات الأدبية هو الذي قاده إلى تكريس عنايته بالأصفهاني أكثر من عنايته بابن شداد وحتى أبو شامة، وإن شهد لهما بالتفوق على أسلوب الأصفهاني.

ثانياً: التاريخ العالمي

عد كُتب كتابة (التاريخ العالمي) في العصر الأيوبي انعطافة علمية مميزة في ذلك العصر؛ لكونها أعادت القيمة العلمية لهذا الاتجاه إلى مسارها الصحيح بعد أن شهدت نوعاً من الانحراف عن ذلك المسار بفضل تعرضها لبعض المؤثرات الخارجية- كما بينا-، وقد أشاد كُتب كثيراً بدور مؤرخي الدولة الأيوبية في إعادة الاعتبار لذلك الاتجاه؛ ولاسيما أنه كان يجد أن اهتمام مؤرخي العصر الأيوبي بكتابة (التاريخ العام) أعاد العلاقة ثنائية بين التاريخ والمجتمع، ومن هنا: "استعاد المؤرخون النظرة الإنسانية السابقة إلى التاريخ من حيث هو تاريخ للمجتمع"⁵².

نحنا كُتب في معالجته لكتابة (التاريخ العام) منحى يختلف عن معالجته (للسيرة الرسمية)، ففي بحثه عن (التاريخ العام) ركز كُتب توجهاته الاستشراقية نحو المعطيات السياسية في كتابة هذا الاتجاه وعدّها المحور الرئيس في بحثه عن منهج مؤرخي ذلك العصر في كتابة (التاريخ العام).

وقد قسّم كُتب كتابات مؤرخي (التاريخ العام) على قسمين تبعاً لموقف المؤرخين من عرض الأحداث السياسية، فبحسب كُتب هناك بعض مؤرخي (التاريخ العام) كرسوا كتاباتهم لتدوين الجوانب المتعلقة بالسيرة أكثر من عرضهم للأحداث السياسية نفسها على الرغم من أن توجههم الكتابي المتمحور حول (التاريخ العام) كان يفرض عليهم الاهتمام بعرض الأحداث السياسية أكثر من اهتمامهم بذكر أخبار الوفيات، وأتمودج كُتب في ذلك ابن الجوزي (597هـ/1201م) يرى فيه مؤرخاً طغت على كتاباته تدوين أخبار الوفيات على الأحداث السياسية إلى حد أنها اقتصرت - برأيه - "في الغالب على بضعة عبارات لا رابط بينهما"⁵³.

وعلى ما يبدو لم يهتم كُتب كثيراً ببحث المنهج العلمي عند مؤرخي هذا القسم في أتمودجه ابن الجوزي؛ ولا سيما أن هذا المؤرخ كان قد عاش في فترة هي من أهم الفترات المؤثرة في الساحة الإسلامية بالنظر للتقلبات السياسية والاجتماعية والفكرية الواسعة النطاق، تلك التي صاحبت سقوط الدولة الفاطمية عام (297-567هـ/909-1117م) وقيام الدولة الأيوبية⁵⁴، وابن الجوزي وإن كان قد اهتم بعرض أخبار الوفيات كما يشير كُتب فإنه في الوقت نفسه حرص وخاصة في كتابة (المنتظم في تاريخ الأمم والشعوب) على سرد الحوادث الخطيرة، لا سيما تلك التي كانت تتعرض لها بغداد آنذاك، كما أن الفضل يعود إلى ابن الجوزي في تغيير أسلوب كتابة التاريخ العالمي "فأصبح من أسلوب السرد غير المنسق إلى أسلوب منسق ملتزم بمنهج يسير عليه، فلا يسهب في سرد الأحداث، ويهمل التراجم أو العكس ولكن يعطي لكل من الجانبين ما يستحقه"⁵⁵.

ويبدو أن عدم تمحيص كُتب النظر في دراسة المنهج العلمي عند مؤرخي هذا النوع من كتابة التاريخ العام يعكس عدم أهمية هذه الكتابات في دراسات كُتب لو قارناها بالقيمة التي كان يوليها للقسم الثاني من مؤرخي (التاريخ العام) ممن كان يجدهم قد كرسوا جل عنايتهم لبحث الواقع السياسي خاصة في الدولة الأيوبية، وإن لم يكن المؤرخ ينتمي إلى المدرسة العلمية في الشام ومصر؛ وأتمودج كُتب في ذلك هو ابن الأثير الذي عده خير من يمثل الحقل السياسي في هذا النوع من الدراسات التاريخية ذات الصبغة العالمية، ولا سيما أنه كان يرى أن ابن الأثير تمكن من أن يسوق كتابة التاريخ العالمي إلى قالب آخر يتضمن الاهتمام بمجال عرض الأحداث السياسية أكثر من اهتمامه في عرض سنوات الوفاة.

لكن موقف كُتب من كتابات ابن الأثير تباينت بتباين موقف الأخير من الدولة الأيوبية عامة وصلاح الدين الأيوبي خاصة، وهذا ما عكسته ملاحظات كُتب عن كتابات ابن الأثير. ففي مقالته (علم التاريخ) يكتفي بالإشادة في دور ابن الأثير في انقلاب الدراسات التاريخية ذات المنحى العالمي، ويصف عرضه لوقائع التاريخ العالمي بكونها كانت أقل جموداً - ويقصد هنا كُتب - الوقائع العسكرية والسياسية في الخلافة العباسية عامة والأيوبية خاصة -، حين قام بجمع وقائع موضوع معين في إطار حولي، وإن كان كُتب انتقد كتابات ابن الأثير وعاب عليه أنه منهج لا يخلو من بعض العيوب في معالجة بعض المواد⁵⁶.

ويبدو أن هذه العيوب التي لم يصرح بها كُتب في كتابات ابن الأثير في مقالته (علم التاريخ) كان لها علاقة بموقف الأخير من صلاح الدين الأيوبي، وهذا ما يبدو واضحاً حين يتعرض كُتب لبحث تطور علم التاريخ عند ابن الأثير في كتابه (المدخل في الأدب العربي)، فـ كُتب في هذا الكتاب لا يدخر جهداً لنقد كتابات ابن الأثير فيما يتعلق

عموقه من تحليل أعمال صلاح الدين الأيوبي من الناحيتين السياسية والعسكرية. ويرى إن ابن الأثير في مؤلفه (تاريخ الباهر في الدولة الاتابكية: الموصل) قدم كتابات كانت لصالح خصوم صلاح الدين الرئيسين، حين استخف كما يعلق كذب بمنجزات هذا القائد في صالح أولياء المؤرخ⁵⁷.

وهنا علينا الأخذ بنظر الاعتبار مسألتين غاية في الأهمية لم يعر لهما كذب جانباً من عنايته وهو يعالج موقف ابن الأثير من صلاح الدين الأيوبي مؤلفه ذلك وهما:

أولاً: إن الغاية الحقيقية من تأليف ابن الأثير لكتابه (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية: الموصل) هو الحديث عن الدولة الاتابكية في الموصل، والبحث في الثقل التاريخي لهذه الأسرة في المنطقة آنذاك، وهذا التوجه يسير نحو ما كان يعتمد إليه مؤرخو الدولة الأيوبية أنفسهم. ومن هنا يمكن القول إن توجه مؤرخي الدولة الأيوبية لكتابة سيرة صلاح الدين الأيوبي كما هو الحال مع ما كتبه عماد الدين الأصفهاني عن صلاح الدين الأيوبي في كتابه (الفتح القسي في الفتح القدسي) و(البرق الشامي) كان يعد أحد الدوافع المحفزة لابن الأثير في الكتابة عن الدولة الاتابكية، وإعطاء تفاصيل كثيرة عن سيرة كل من عماد الدين وولده نور الدين محمود ودورهما في مقاومة الغزو الصليبي⁵⁸.

والثاني: إن ابن الأثير كان حريصاً وهو يدون أخبار هذه الدولة (الاتابكية) وكما يشير محقق الكتاب عبد القادر أحمد طليمات على عدم تدوين أخبار: "الصراع بين الزنكيين - خلفاء نور الدين - وبين صلاح الدين وخلفائه، وسبب ذلك أن أخبار هذا الصراع، تظهر ضعف الزنكيين أمام صلاح الدين وخلفائه، وهزائمهم في حروبهم معهم، كذلك تثبت أخبار الصراع، وخضوع الزنكيين لصلاح الدين وخلفائه خضوعاً تاماً، فتجنب ابن الأثير إثبات هذه الأخبار التي تخرج أصحابها، لئلا يخذش كبرياء الملك القاهر الذي ألف له الكتاب، واكتفى بإحالة القارئ إلى كتابه الكبير (الكامل في التاريخ) ويسميه (المستقصى في التاريخ)"⁵⁹.

ولكن على الرغم من ذلك فقد أشاد كذب بدور ابن الأثير في تطور الكتابات التاريخية في مؤلفات المؤرخين اللاحقين ضمن المدرستين الشامية والمصرية في العصر الأيوبي. وأتمودج كذب في ذلك مؤلفات: ابن واصل (ت 697هـ/1297م) وسبط ابن الجوزي (ت 654هـ/1256م)، إذ كان يرى فيهما أنموذجين يعكسان المدى الذي خلفه أسلوب ابن الأثير في كتابة (التاريخ العالمي) وإن كل ما أضافوه على كتاباتهم التاريخية هو إنهم: "كانوا يلقون بما يقتبسون مواد محلية ومواد ظهرت من بعد"⁶⁰.

وإن كنا نرى أن كذب يبالغ في تصوير تأثير مؤلفات المؤرخين المتأخرين بهذه القوة بابن الأثير؛ لأن لكل مرحلة خصائص تاريخية خاصة تميزها بعض الشيء عن المراحل التي تليها تبعاً لتطور الأحداث التاريخية للمرحلة المعنية بالدراسة، وفي أن لكل مؤرخ مهما بلغ مرحلة من التأثر بمؤرخ آخر سمات كتابية خاصة به تظهر ضمن أسلوبه ومنهجه أو حتى ضمن منهج ذلك العصر في كتابة التاريخ.

فمثلاً ابن الواصل الذي أشار إليه كذب كان له منهجه المميز في بحث تاريخ الدولة الأيوبية؛ ولا سيما في كتابه (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) الذي أرّخ فيه للدولة الأيوبية منذ قيامها إلى نهايتها في تفصيل وافٍ وتحقيق شامل ودقيق، ولا سيما أن ابن واصل كان يعتمد في تأريخه للأحداث على مشاهداته ومشاركاته الشخصية في هذا

المجال⁶¹، ومن هنا عدَّ: "كتابه الأصل والمرجع الذي أخذ عنه كل المؤرخين اللاحقين له في القرون التالية(الثامن والتاسع والعاشر) عند تأريخهم للدولة الأيوبية"⁶².

وكذلك الحال مع سبط ابن الجوزي في كتابه(مرآة الزمان في تواريخ الأعيان) الذي لم يعمد كما يشير مقدمة المحقق إلى أسلوب التقليد وفي أنه لم يكن ينقاد إلى طريقة المؤرخين السابقين كما تصور كُتب، إذ إن منهجه كان يبدو واضحاً حين: "يدلي بآرائه ووجهة نظره، وتجلى ذلك من خلال تنقيحات لطيفة انتقد بها سابقه، أو تعليقات طريفة علق بها على بعض الأخبار، أو إضافات سديدة كان يفيضها إذا ما رأى حاجة تدعو إلى ذلك"، وهذا من جعل كتاب (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان) مصدراً أساسياً في كتابات علماء ومؤرخي ذلك العصر وحتى العصور التي تلتها⁶³.

ثالثاً: التراجم

يعد كتابة (تاريخ التراجم) مبحثاً استشرافياً آخر في دراسة كُتب لتطور علم التاريخ عند مؤرخي الدولة الأيوبية؛ ولاسيما أن كُتب كان يجد في هذا الاتجاه بعداً آخر يعضد من قيمة الحركة العلمية في الدولة الأيوبية؛ خاصة أن هذا النوع من الكتابة التاريخية شهد في العصر الأيوبي اتجاهاً عميقاً يسير نحو التخصص في إنتاج المؤلفات، وكان يرى كُتب في الاتجاه نحو التخصص الصورة الحقيقية التي تجلي العبقرية الحقة في التدوين التاريخي عند مؤرخي دولة بني أيوب⁶⁴. هذا لو أخذنا بنظر الاعتبار أن كتابة(التراجم) كانت قد شهدت ولاسيما في النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث الميلادي توسعاً ملحوظاً في كتابة المعاجم التاريخية نتيجة كثرة المعارف وتنوع الفنون ووفرة الكتب واتصال العلماء بعضهم ببعض وتوفر ثقافة علمية واسعة تربط ما بين الأندلس غرباً إلى آخر حدود فارس شرقاً⁶⁵.

ولم يكن توجه مؤرخي كتابة (التراجم) نحو التخصص في إنتاج المؤلفات هو ما كان يجد فيه كُتب ما يميز كتابات مؤرخي هذا النوع ويعطيهم ميزة العبقرية في عملية تدوين التاريخ في الدولة الأيوبية فحسب؛ بل أيضاً في قدرة مؤرخي (التراجم) كما يؤكد كُتب في توسيع نطاق تراجمهم في ظل مجال التخصص إلى قرون سابقة على الدولة الأيوبية أيضاً، وأتمودجا كُتب في ذلك كتاب (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لمؤلفه ياقوت الحموي(626هـ/1228م) إذ يعده كتاباً قيماً أَلَمَّ صاحبه الحموي بالأدب العربي ضمن مسار تاريخي لستة قرون⁶⁶، وكذلك كتاب(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة الدمشقي(668هـ/1270م)⁶⁷. ويظهر أن إشارة كُتب إلى ابن أبي أصيبعة(668هـ/1269م) في كتابه(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) كان له علاقة وثيقة بمجال كتابة كُتب بحقل الدراسات الصليبية؛ لأن هذا المؤلف لم يقدم تراجم عن أطباء وحكماء ذلك الوقت فحسب؛ بل أيضاً قدم في كتابه ذلك إشارات غاية في الأهمية عن "الحروب الصليبية ما كانت تذكرها كتب التاريخ لتأثيرها السياسي والعقدي فيها"⁶⁸.

وقد عني كُتب في مجال بحثه عن (تاريخ التراجم) بالدراسات الإقليمية؛ إذ يؤكد على أن هذه الدراسات بلغت مرحلة متقدمة في مجال كتابة التراجم الإقليمية التي عدّها كتابات تاريخية مكملّة للمؤلفات السابقة في سياق تطور

مجال علم التاريخ في العصر الأيوبي، وأتمودج كُتب في ذلك كتاب (زبدة حلب من تاريخ حلب) لمؤلفه كمال الدين بن العديم (660هـ/1262م)⁶⁹.

وإن كانت كتابات مؤرخي (تاريخ تراجم الإقليم) لم تنحصر كلها تماماً على نحو ما بين كُتب في مجال تراجم الإقليم المعني بالدراسة؛ كما هو الحال مع أتمودج كُتب ابن العديم في كتابه (زبدة حلب من تاريخ حلب) فعلى الرغم من أن هذا الكتاب، وكما هو واضح من عنوانه مختص بتاريخ مدينة حلب، بيد أن ذلك كما يشير محقق الكتاب خليل المنصور: "أوسع من ذلك بكثير، إذ سجل فيه ابن العديم تاريخ الشام والعراق ومصر من خلال الحوادث وأسماء الرجال الذين حكموا حلب واتصلت علاقاتهم بما حول حلب مدناً وقلاعاً وبلاداً، روماً وصليبيين وأتراكاً وأكراداً وعرباً ومسلمين ومسيحيين- وكان قد بدأ بذلك منذ قبل الإسلام إلى صدر الإسلام فالعصر الأموي والعباسي والفاطمي والمرداسيين والسلاجقة الأتراك مروراً بالزنكيين والأيوبيين حتى منتصف القرن السابع الهجري"⁷⁰.

كما وجه كُتب جانباً آخر من اهتمامه وهو بصدد كتابة (تاريخ التراجم) وبحث أثره في تطور علم التاريخ في العصر الأيوبي على بحث أسلوب الكتابة في هذا النوع من المدونات التاريخية، ولاسيما أن كُتب كان يشيد بقدرة مؤرخي العصر الأيوبي على تطوير الكتابة التاريخية حتى بلغ برأيه مرحلة متقدمة من الرقي والذوق، وأتمودج كُتب في ذلك كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لمؤلفه ابن خلكان (ت681هـ/1282م)⁷¹. والمعروف أن أهمية مؤلف ابن خلكان لم يقتصر على أسلوبه الراقي الذي أوصل كتاباته إلى مراحل عليا من الذوق كما بين كُتب فحسب؛ بل أيضاً إن كتابه (وفيات الأعيان) كان يعد مصدراً قيماً وخاصة أنه لم يكن يقصر كتاباته على تراجم الأدباء والمشاهير في الأدب واللغة، إذ تناول بمجمل المشاهير، مما أعاد بالفائدة الكبيرة على الدراسات اللاحقة في مختلف ميادين الأخبار والمعارف والحقائق⁷².

ولم ينسَ كُتب وهو يشيد بأسلوب كتاب التراجم أن يشير إلى أسلوب ابن الأثير في هذا المجال ضمن كتابه الشهير (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، الذي كان يتضمن كما يدل من عنوانه تراجم للصحابة وللصحايات الذين صاحبوا النبي في حياته⁷³. فبرأي كُتب إن ابن الأثير في هذا الكتاب أوصل كتابات التراجم مرحلة متقدمة من التطور، إذ كان أسلوبه في "غاية الدقة في مسعاه حذف جميع الأشخاص الذين لم يجد معلومات يعتمد عليها بصدد وفاتهم"⁷⁴.

ومما يلاحظ أن كُتب في بحثه عن اتجاهات العلمية في الكتابة التاريخية في العصر الأيوبي كان يعتمد إلى انتقاء نماذج تمتاز بالموسوعية والدقة لدعم كلامه في بحثه عن مجمل نشاطات المؤرخين ومستويات الكتابة لديهم في ذلك العصر الذي كان يعد من وجهة نظره عنواناً لأعلى مستويات تطور كتابة التاريخ في الدولة الإسلامية عند المؤرخين المسلمين، حتى إنه عدَّ مؤرخي الدولة الأيوبية: "مثلاً في الاتجاه نحو التأليف الذي يعزى حقاً إلى نمو الروح العلمية والذي سيحل محل الإنشاء الأصيل أكثر فأكثر في البحث العلمي والنشاط الأدبي"⁷⁵.

ومن الجدير بالذكر أن ما قدمه كُتب من نقد وملاحظات على اختصارها في دراسة تطور علم التاريخ في عصر الدولة الأيوبية عدت ذات قيمة عظيمة في حقل دراسات التاريخية التي تستهدف رصد تطور الحركة العلمية في

كتابة التاريخ الإسلامي، مما ينم - كما تشير المستشرق البريطانية آن لامبتون A.Lambton (1914-2008) - عن أن كُتب كان "صاحب مهارات علمية نافذة في حقل الدراسات التاريخية وبالأخص في مجال نقد تطور علم التاريخ ذلك الحقل المفعم بالصعوبة"⁷⁶. وقد قدر لدراسته تلك أن تسجل حضوراً ملموساً؛ حتى عدها شاكر مصطفى ذات قيمة علمية مميزة تنطلق من قدرة كُتب على وضع: "الخطط الأولى والأساسية... وحشد فيه وبتكثيف واضح عدداً هاماً من الملاحظات حول تطور هذا العلم تستند إلى إطلاع طيب ودقة منهجية واضحة وإحاطة بالموضوع من كافة جوانبه"⁷⁷.

الخاتمة

وفي ختام البحث يمكن القول إن توجه المستشرق هاملتن كُتب إلى دراسة موضوع علم التاريخ عند مؤرخي الدولة الأيوبية يعد إحدى نتاجات اهتمامه بالدراسات التاريخية خاصة تلك المتعلقة بفترة الصراع الأيوبي-الصليبي على المنطقة.

وقد صاغ كُتب منهجاً استشرافياً يقوم على دراسة علم التاريخ بحسب العهود التي شهدتها الدولة الإسلامية، وعالج تطور علم التاريخ في العصر الأيوبي ضمن ما أسماه بالعصر الفضي الذي وصفه بالتراجع على مختلف النواحي؛ لكنه حصص العصر الأيوبي بالتقدم في مجال الحركة العلمية؛ خاصة (التاريخية).

قسّم كُتب الكتابات التاريخية في العصر الأيوبي ضمن ثلاثة اتجاهات (السيرة الرسمية و العالمي والتراجم) حاول فيها تحديد الخصائص الرئيسة لاتجاهات التدوين التاريخي، واستعرض مسارات التوجهات الفكرية للمؤرخين في العصر الأيوبي ضمن تلك الاتجاهات، وإن كانت طريقة معالجة كُتب للاتجاهات الثلاثة مختلفة باختلاف رؤيته الاستشرافية. فمثلاً حاول في بحثه عن اتجاه كتابة (السيرة الرسمية) تركيز اهتمامه على الأسلوب الأدبي في كتابة السيرة الرسمية، مؤكداً أن تفوق كتابة اتجاه السيرة في الدولة الأيوبية يعود إلى تمسك مؤرخي المدرسة الشامية بأسلوب النثر الطبيعي، ورفض الأسلوب المنمق في كتابة السيرة تلك التي هي من نتاجات العراق وفارس.

في حين انصب اهتمام كُتب في دراسته لاتجاه (التاريخ العالمي) على ربط هذا الاتجاه بكتابة الأحداث السياسية في الدولة الأيوبية، وعدها المحور الرئيس لكتابة التاريخ العالمي في ذلك العصر، بعد أن قسم كتابات مؤرخي هذا الاتجاه على قسمين الأول: الذي علق عليهم كُتب بكون كتاباتهم اهتمت بالسير وسنوات الوفاة أكثر من اهتمامهم بتدوين التاريخ السياسي، والثاني: اثنى على كتاباتهم؛ لكونها عنيبت بتدوين الجانب السياسي.

أما في مجال كتابة (تاريخ التراجم) فتركزت عناية كُتب على الجهود التي بذلها مؤرخو الدولة الأيوبية نحو التخصص في إنتاج المؤلفات على اختلافها سواء كانت أدبية أو طبية أو تاريخية تعنى بالأقاليم، كما اهتم كُتب بدراسة المنهج اللغوي في كتابة هذا الاتجاه عند مؤرخي الدولة الأيوبية .

¹ A. K. S. Lambton, "Sir Hamilton Alexander Rosskeen Gibb", BSOAS, 1972, Vol. XXXV, p. 339.

² البيرت حوراني، هاملتون جب إنجازات مستشرق، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع31، عام 1983، 373.

³ فارس عزيز المدرس، تاريخ الأدب العربي، بيروت، دار البصائر، 2013، 50.

⁴ "The Opening Ceremony", BSOS, 1917-1920, Vol. 1, p. 28 Hartog, P.J.

⁵ G. Makdisi, "Sir Hamilton Gibb", JAOS, 1973, Vol. 93, P. 492.

⁶ زاهدة محمد الشيخ طه المزوري، النظرية السياسية الإسلامية في دراسات المستشرقين البريطانيين بيروت دار البصائر، 2011، 104.

⁷ ناصر عبد الرزاق الملا حاسم، المستشرق هاملتن أ.ر. كب، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة الموصل عام 1998، 202.

⁸ J. C. Hurewitz, "World politics in the Study of Middle East", in Th. De Bary and Other (ed.). Approaches to Asian Studies, (New York. Columbia University press. 1961). pp. 134 – 141

⁹ المدرس، تاريخ الأدب العربي، 68.

¹⁰ هاملتون كب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1966، 15.

¹¹ حسام الخطيب، الأدب العربي عرض لكتاب كب المدخل إلى الأدب العربي، مجلة المعرفة، ع10، عام 1964.

¹² H.A.R.Gibb, 'Notes on Arabic for the History of the Early Crusades', BSOS, 1935, Vol. 7, p. 744.'

¹³ هاملتون جب، التاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، 1964، 143.

¹⁴ الملا حاسم، المستشرق هاملتون، 44.

¹⁵ المدرس، تاريخ الأدب العربي، 115.

¹⁶ نشره عام 1926 في الـ The World's Manuals ، ثم أعاد نشره مع تعديل طفيف عام 1963

¹⁷ ينظر: التاريخ العربي والمؤرخون، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، 30/2.

¹⁸ الملا حاسم، المستشرق هاملتن أ.ر. كب، 47.

S.Zwer, 'Review of Nicolson 'Literary History of the Arabs', MW, 1930, Vol. 21, p. 89.

¹⁹ المدرس، تاريخ الأدب العربي، 111-112.

²⁰ جب، التاريخ، 143.

²¹ جب، المدخل في الأدب العربي، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، 1996، 47.

²² جب، التاريخ، 152.

²³ Robert Irwin, "Mamluk History and Historians". in Roger Allen and D. S. Richards (eds.) Arabic Literature in the Post-Classical Period, Cambridge, Cambridge University Press, 2008, pp. 161-162.

²⁴ H.A.R.Gibb, "Abd al- Hamid b. yahya", EI², Vol. 1, p. 65.

²⁵ جب، التاريخ، 158-159.

²⁶ المصدر نفسه، 160.

²⁷ المصدر نفسه، 160.

- ²⁸ جب، المدخل في الأدب العربي، 113.
- ²⁹ ينظر: المستشرق هاملتن أ.ر. كب، 55.
- ³⁰ عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط1 دار الفكر، بيروت، 17، 1998.
- ³¹ المدرس، تاريخ الأدب العربي، 111.
- ³² H.A.R.GIBB, 'Review of Grousset 's Histoire des Croisades'BSOS,1932,Vol.8,p.43.
Gibb,'Review of Grousset's..." ,p246.
- ³³ الملا جاسم، المستشرق هاملتن أ.ر. كب، 133.
- ³⁴ المصدر نفسه، 91.
- ³⁵ Gibb,'Notes on the Arabic ' ,pp.739-754.
- ³⁶ كان كب قد وقع تحت تأثير المستشرق البريطاني الجنسية امدروز حين سلم بأن كتاب ابن قلاسي هو تذييل على كتاب ابن هلال الصابي رغم ان كتاب ابن الصابي كتاب في التاريخ العام، بينما حمل كتاب ابن قلاسي اسم الذيل او المذيل على تاريخ دمشق. وان مسألة الربط بين الكتائين تتمثل فقط في ابتداء ابن القلاسي من النقطة التي انقطع منها كتاب الصابي. ينظر: الملا جاسم، المستشرق هاملتن أ.ر. كب، 93.
- ³⁷ الملا جاسم، المستشرق هاملتن أ.ر. كب، 89-90.
- ³⁸ ينظر: علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، سلسلة المعارف العامة، 40، 1944.
- ³⁹ جب، التاريخ، 168.
- ⁴⁰ قدم أسامة بن منقذ في كتابه (الاعتبار) الذي نشره فيليب حتي عن نسخة فريدة في برنستون -الولايات المتحدة الأمريكية عام 1930 معلومات تاريخية قيمة عن أحوال وعادات الشام ومصر والدويلات الصليبية في الشام، لم يكن المؤرخين المسلمين مهتمين بها مثل: طبيعة العلاقات بين المسلمين والصليبيين في السلم والحرب وعادات الصليبيين الاجتماعية وأحوالهم الاقتصادية وموقفهم من المسلمين في الأراضي التي يحتلوها. ينظر: عباس عاجل جاسم الحيدري، رؤية المؤرخين المسلمين للحروب الصليبية، دار البصائر، بيروت، 2010، 149.
- ⁴¹ جب، المدخل في الأدب العربي، 122-123.
- ⁴² المصدر نفسه، 124..
- ⁴³ P.M. Holt, : " Some Observations on Shafi' b. 'Ali's Biography of Baybars".JSS, Vol.XXIX,1984,. "Three Biographies of al-Zahir Baybars", In D.O. Morgan, Medieval Historical Writing in Christian and Islamic Worlds,London ,SOAS,1982,pp.19-20.
- ⁴⁴ احمد رضا احمد، السلطان المملوكي الظاهر بيبرس في دراسات المستشرقين البريطانيين، جامعة الموصل، 2012، 23.
- ⁴⁵ جب، المدخل في الأدب العربي، 124.
- ⁴⁶ المدرس، تاريخ الأدب العربي، 194.
- ⁴⁷ جب، المدخل في الأدب العربي، 125..
- ⁴⁸ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، 30/1.
- ⁴⁹ جب، التاريخ، 168.
- ⁵⁰ الحيدري، رؤية المؤرخين المسلمين، 121.
- ⁵¹ المصدر نفسه، 152.
- ⁵² جب، التاريخ، 166.
- ⁵³ المصدر نفسه، 166.

- ⁵⁴ أبو الفرح بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، ط2، بيروت، دار الطليعة، 1995، 19/1.
- ⁵⁵ ابن الجوزي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 42/1.
- ⁵⁶ جب، التاريخ، 166-167.
- ⁵⁷ جب، المدخل في الأدب العربي، 126.
- ⁵⁸ ميسون ذنون العبايجي، "الفرنج من خلال كتاب (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية) لابن الأثير (ت639هـ/1232م)"، مجلة التريفة والعلم، مج5، ع2، عام 2008، 25.
- ⁵⁹ عز الدين أو الحسن علي بن الأثير، التاريخ الباهر بالموصل، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، مصر، 1963، 17.
- ⁶⁰ جب، التاريخ، 167.
- ⁶¹ Gamal el-Din el-Shayyal. "Ibn Wasil", EI², Vol.III, p.967.
- ⁶² جمال الدين بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، 1/1953، 5.
- ⁶³ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزواغلي عبد الله سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، بيروت، دار الرسالة العالمية، 2013، 10/1.
- ⁶⁴ جب، التاريخ، 171.
- ⁶⁵ جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت، 1986، 24/1.
- ⁶⁶ جب، التاريخ، 171.
- ⁶⁷ المصدر نفسه، 171.
- ⁶⁸ الحيدري، رؤية المؤرخين المسلمين، 225.
- ⁶⁹ جب، التاريخ، 171؛ المدخل في الأدب العربي، 127.
- ⁷⁰ كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن العدم، زبدة حلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996، 3.
- ⁷¹ جب، التاريخ، 171؛ المدخل في الأدب العربي، 127.
- ⁷² المدرس، تاريخ الأدب العربي، 195.
- ⁷³ للمزيد ينظر: عز الدين أو الحسن علي بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط، بيروت 1، دار ابن حزم، 2012.
- ⁷⁴ جب، المدخل في الأدب العربي، 126.
- ⁷⁵ المصدر نفسه، 127.
- ⁷⁶ Lambton, "Sir Hamilton Alexander Rosskeen Gibb", P.343.
- ⁷⁷ ينظر: التاريخ العربي والمؤرخون، 29/1.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- 1- ابن الأثير، عز الدين أو الحسن على ، التاريخ الباهر بالموصل، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات، مصر، 1963.
- 2- _____، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1 بيروت، دار ابن حزم، 2012.
- 3- ابن الجوزي، ابو الفرح بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1995.
- 4- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ط1 دار الفكر، بيروت، 1998.
- 5- سبط بن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاو غلي عبد الله ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، بيروت، دار الرسالة العالمية، 2013.
- 6- ابن العديم ، كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد ، زبدة حلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996.
- 7- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت، 1986.
- 8- ابن واصل، جمال الدين بن سالم ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، 1953.

المراجع العربية:

- 1- احمد، احمد رضا، السلطان المملوكي الظاهر بيبرس في دراسات المستشرقين البريطانيين، جامعة الموصل، 2012.
- 2- الحيدري، عباس عاجل حاسم ، رؤية المؤرخين المسلمين للحروب الصليبية ، بيروت، دار البصائر، 2010.
- 3- كب، هاملتون ، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1966.
- 4- _____، التاريخ، ضمن كتاب دراسات في حضارة الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1964.
- 5- _____، المدخل في الأدب العربي، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، 1969.
- 6- المدرس، فارس عزيز، تاريخ الأدب العربي، بيروت، دار البصائر، 2013.
- 7- المزوري، زاهدة محمد الشيخ طه ، النظرية السياسية الإسلامية في دراسات المستشرقين البريطانيين ، بيروت ، دار البصائر، 2011.
- 8- مصطفى، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1979.
- 9- الملا حاسم، ناصر عبد الرزاق، المستشرق هاملتون أ.ر. كب، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة الموصل عام 1998.
- 10- هرنشو، علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، سلسلة المعارف العامة، 1944.

المجلات والدوريات:

- 1- حوراني، البرت، هاملتون جب إنجازات مستشرق، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع31، عام 1983.
- 2- الخطيب، حسام، الأدب العربي عرض لكتاب كب المدخل إلى الأدب العربي، مجلة المعرفة، ع10، عام 1964.

3- العياشي، ميسون ذنون، "الفرنج من خلال كتاب (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية) لابن الأثير (ت639هـ/1232م)"، مجلة التربية والعلم، مج5، ع2، عام 2008، 25.

المصادر الأجنبية:

- 1- Gamal el-Din el-Shayyal, "IbnWasil ",EI2, Vol.III.
- 2- Gibb,H.A.R., ' Notes on Arabic for the History of the Early Crusades',BSOS,1935,Vol.7.
- 3-"Abd al- Hamid b.yahya", EI2, Vol.1.
- 4-'Review of Grousset 's Histoire des Croisades'BSOS,1932,Vol.8.
- 5- Hartog.P.J,"The Opening Ceremony", BSOS, 1917-1920, Vol. 1 .
- 6- Holt,P.M. , " Some Observations on Shafi' b. 'Ali's Biography of Baybars".JSS, Vol.XXIX,1984,. "Three Biographies of al-Zahir Baybars", In D.O. Morgan, Medieval Historical Writing in Christian and Islamic Worlds,London ,SOAS,1982.
- 7- Hurewitz, J. C. , "World politics in the Study of Middle East", in Th. De Bary and Other (ed.). Approaches to Asian Studies, (New York. Columbia University press,1961) .
- 8- Irwin,Robert, "Mamluk History and Historians".in Roger Allen and D. S. Richards (eds.) Arabic Literature in the Post-Classical Period, Cambridge, Cambridge University Press, 2008.
- 9- Lambton, A.K. S., A."Sir Hamilton Alexander Rosskeen Gibb", BSOAS, 1972, Vol. XXXV.
- 10- Makdisi,G, "Sir Hamilton Gibb", JAOS, 1973, Vol. 93.
- 11- Zwer,S., 'Review of Nicolson 'Literary History of the Arabs',MW,1930,Vol.21